الأحد 23/9/2012 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

سلسلة الأربعون النووية

وعظنا رسول الله موعظة (2)

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك وبعد:

عَنْ أَبِيْ نَجِيْحٍ، الْعِرْبَاضِ بْنَ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: **وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً، وَجِلَتْ مِنهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنهَا الْعُيُونُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا، قَالَ:** ((**أُوْصِيْكُمْ بِتَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، فَإِنَّه مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافَاً كَثِيْرَاً، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّيْنَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورَ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ**))، [رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح].

سبق أيها الإخوة في الدرس الماضي **أن القلوب:**

- منها قلوب قاسية –نسأل الله السلامة–
- ومنها قلوب رقيقة.

والقلب يُضرب بالقسوة لأسباب:

وقد قال الصالحون: (**ما نزلت بالعبد عقوبة أشد من عقوبة قسوة القلب بحيث يستمع إلى النصيحة فلا يتعظ ويرى بعينيه مآل الأمور ولا يرتدع عن الخطأ ولا يسرع إلى الصواب**).

الصحابة رضوان الله عليهم قالوا: (**وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً، وَجِلَتْ مِنهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنهَا الْعُيُونُ**) إذا رق واستنار ولان القلب، اقشعر البدن، وذرفت العين، وإذا قسا القلب قحطت العين.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((عَيْنَانِ لاَ تَمَسُّهُمَا النَّارُ عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))، [الترمذي].

فالصحابة آتاهم الله قلوباً رقيقة، وسبق في الدرس الماضي أسباب قسوة القلب وأسباب رقة القلب.

((**فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا**))، أي اجمع لنا كلمات جامعات، فقال: ((**أُوْصِيْكُمْ بِتَقْوَى اللهِ**))، أظن أيها الإخوة أنه قد مر معنا في درس من الدروس أن الوصية بالتقوى في القرآن الكريم وردت أكثر من مائتين وخمسين مرة فإذا كانت عدد صحائف القرآن الكريم ستمائة صحيفة على التقريب، وعلمت أن الوصية بالتقوى جاءت أكثر من مائتين وخمسين مرة، معنى ذلك أنه كلما مرت بك صحيفتان ونصف الصحيفة من القرآن الكريم يذكرك الله تعالى بالتقوى.

خطبة الجمعة لا تصح بغير الوصية بالتقوى كما قال الشافعي.

والتقوى أقصر تعريفاتها هي: (**فعل المأمورات وترك المنهيات**) أن تفعل ما أمرك الله تعالى به وأن تترك ما نهاك الله عنه.

مثلاً نهاك الله أن تطلق زوجتك من غير مبرر، فالتقوى أن لا تطلق، والفسوق أن يطلق رجل امرأته بغير مبرر، يعني إذا كان الطعام مالح قليلاً طلقها، إذا لم تستمع لأمره طلقها، إذا انزعج من صديقه طلق زوجته.

التقوى أن يراك الله حيث أمرك وأن يفتقدك حيث نهاك.

نهاكِ الله عز وجل أن تخرجي من البيت بغير إذن زوجك فالتقوى أن تنضبطي بهذا الأمر وتكونين من المتقيات ومن المتقين، ولكن تكونين -والعياذ بالله- من الفاسقات إذا خرجت من بيت زوجك بغير إذنه.

أمرك الله تعالى أن تغض بصرك، فالتقوى أن تغض بصرك، والفسوق أن نشاهد على جهازك المحمول صوراً لنساء ساقطات، معناها أن صاحب هذا الجهاز ساقط، وصاحب الجهاز المنضبط بالشرع متقي.

إذا أمرك الله عز وجل أن تحافظ على مال صاحب العمل الذي تعمل معه فهذه تقوى إذا انضبط، وإذا ذهب إنسان لإتلاف مال الآخرين بحجة أنه ليس ماله فأبقى الإضاءة مضاءة طوال

النهار بحجة أنه ليس من يدفع الفاتورة، أبقى الماء مفتوحاً، ويقول: لست الملتزم بهذا الشيء، أتلف بعض السلع في المحل الذي يعمل به ويقول: ليس لي، فهذا فسق فالنبي صلى الله عليه وسلم قالوا له: ((**يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا**))، نشعر بأن هذا الكلام قد يكون من آخر ما توصينا به، فالنبي صلى الله عليه وسلم الآن سيوصيهم وصية جامعة فكان أول كلمة في هذه الوصية ((**أُوْصِيْكُمْ بِتَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**)).

كيف للإنسان أيها الإخوة أن يصير من المتقين؟ يعني كيف يصير منضبط بأوامر الله وتارك لنواهي الله عز وجل؟

1- تحتاج أول شيء إلى معلم تصحبه:

لأنه كم وكم من الناس ممن يقع في الحرام وهو لا يعرف، ثم يقول: وهل هذا حرام؟ ما كنت أعرف، فالسبب هو الجهل، ولو كان يعلم لعلم الخطأ من الصواب.

كم من أب أعطى المحل لأولاده الذكور، وعنده بنات متزوجات فقال لبناته: أنتن متزوجات. فهذا الإنسان فاسق، فإذا سأل لماذا أنا فاسق؟ فأقول: في الشرع إذا أعطيت ولداً لا بد أن تعطي الباقين.

يوجد قسم من الفسق هو فسق الجهل، يعني هو لا يعلم أن هذا خطأ فيرتكب الحرام ويقع فيه.

كم من أم قالت لأولادها: إذا أنا مت فالْذَهَبُ للبنات، والمحلات للأولاد فهي فاسقة.

معنى الفسق: نقول القطار فسق عن السكة أي خرج عن السكة، فهذه المرأة فاسقة أي خرجت عن شرع الله بهذا الأمر، ربما تكون من الصالحات والصائمات والحاجَّات والمعتمرات وقارئات القرآن، ولكن بهذا الفعل فسقت عن أمر ربها أي خرجت عن أمره، فإذا قلت لها: هذا لا يجوز، تقول لك: أنا لا أعرف بأن هذا لا يجوز.

جاء في بعض الآثار: (**إن الله لا يعذر على الجهل**) يعني لا يصح أن يأتي إنسان يوم القيامة فيقف بين يدي الله، فإذا سأله الله يا عبدي لم فعلت كذا؟ فيقول: يا رب ما كنت أعلم.

هناك أمور معلومة من الدين بالضرورة فإن الله لا يعذر على الجهل.

إنسان عنده أرض وهي معدة للتجارة وهو لا يدفع عليها زكاة ويقول: الزكاة على المال وليس على الأرض. في الشرع الأرض مال، والمحل مال، والبيت مال، والبضائع مال، لكن هناك

بعض المال تجب فيها الزكاة، وبعض الأموال لا تجب فيها الزكاة. البيت الذي تسكنه لا زكاة عليه.

لكن البيت الثاني الذي أعدته للتجارة فعليه زكاة، عندك أرض تخرج إليها للتنزه وعليها منزل لك فليس عليها زكاة لاستخدامك الشخصي، لكن عندك أرض زراعية وتُخرج لك محصولاً زراعياً فهناك زكاة على المحصول التجاري، وعندك أرض ثانية اشتريتها للتجارة فعليها زكاة، فيقول: أنا لا أعرف وهي عندي منذ عشرين سنة. فهذا فسق، خروج عن أمر الله عز وجل.

كيف تصير من المتقين؟ من المطلوب أولاً أن تصحب عالماً، وتحضر مجالس العلم حتى تعلم الحلال من الحرام.

2- أن تصحب الصالحين:

إذا كان أصحابك من الصالحين المتقين اتقيت، لكن إذا كان إنسان -لا سمح الله- صاحَبَ أُناساً من الفاجرين والفاسقين دفعوه نحو الفجور والفسق.

فإذا كان أصحابه من الذين يغضون أبصارهم عن المحرمات وجدته يغض بصره، وإذا كان أصحابه من الذين يطلقون أبصارهم نحو المحرمات، وجدته من الذين يطلقون أبصارهم نحو الحرام.

إذا كان أصدقاءه من المرتشين وجدته مرتشياً، وإذا كان أصحابه من المحافظين والساعين نحو الرزق الحلال وجدته من الباحثين عن الكسب الحلال.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، [التوبة: 119].

إذا أردت أن تكون فكن مع الصادقين ولا تكن مع الكاذبين، وكن مع المتقين ولا تكن مع الفاسقين كن مع الخيرين ولا تكن مع الأشرار والفجار.

3- أن تجاهد نفسك:

لأن هذه النفس لا تحب الانضباط بأوامر الله عز وجل ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾، [يوسف: 53]، فأنت بحاجة أن تجاهد نفسك حتى تحملها حملاً على التقوى وحتى تحملها حملاً على امتثال أوامر الله عز وجل.

يعني الآن برمضان كانت الحرارة مرتفعة، والنهار طويل فلا تحب أن تصوم لكن مطلوب منك أن تجاهد نفسك مجاهدة حتى تصوم نهار رمضان.

صلاة الفجر، النفس لا تحب أن تقوم على صلاة الفجر لكن مطلوب منك أن تجاهد نفسك، وتغالبها حتى تتدرب على تقوى الله عز وجل.

4- سل ربك أن تكون من المتقين:

كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول: ((اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا))، [مسلم] فسل ربك أن يجعلك من المتقين.

فهذه أربعة تعينك أن تكون من المتقين.

((أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ)).

قال العلماء: شرح هذا الحديث مأخوذ من قول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، [النساء: 59] فأولي الأمر هم الحكام، وبعضهم قال: هم العلماء، وبعضهم قال: -وهو الراجح- الجمع بينهما أي الحكام إذا أطاعوا العلماء.

الحكام إذا أطاعوا العلماء وجب طاعتهم، لأن العلماء يبينوا لهم طريق الحلال وطريق الحرام فيصير هذا الحاكم عالماً بأمر الله عز وجل منضبطاً بشرعه، فطاعته واجبة، صلاح الدنيا وصلاح الدين، أما إذا لم يطع الحاكم ربه فقد قال رسول الله: ((لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ))، [الإمام أحمد] إذا أراد أُولو الأمر أن يأخذوا الناس نحو ما حرم الله عز وجل فلم يُجْز الإسلام طاعةً لأمثال هؤلاء.

((فَإِنَّه مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافَاً كَثِيْرَاً)) ماذا يفعل العلماء في أثناء الاختلاف؟ قال: ((فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ)) يعني أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ((عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ)) **النواجذ**: هي الأضراس الخلفية.

العض على النواجذ أي: تمسكوا بها تمسكاً شديداً، بسنة النبي صلى الله عليه وسلم وطريقته في العيش وفي فهم هذا الدين وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده.

هناك معجزة علمية: من أقوى عضلات الجسم العضلات الماضغة إنك إذا قبضت على شيء بكلتا يديك يمكن لرجل من الرجال أن يسحب هذا الشيء من بين يديك مهما كانت عضلات العظم قوية، لكن إذا عضدت على قطعة قماشية مثلاً بأضراسك فلا يوجد أحد يستطيع أن يسحب هذه القطعة إلا أن تكسر الأضراس أو أن تقطع هذه القطعة القماشية.

العضلات الماضغة أقوى من عضلات العضد، وكم من حادثة سمعتم عنها وقرأناها في الكتب ورأينا بعضها فنسمع أن امرأة عضت ضرتها في أذنها فقطعت لها الأذن.

فعضة الإنسان قوية جداً فالحديث يقول: ((**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ**)) فما قال تمسكوا بها ما استطعتم بل قال عضوا عليها بالنواجذ أي امسكوها مسكاً شديداً بحيث لا تفلت منكم على الإطلاق.

إذا رأيتم اختلافاً كبيراً فعليكم بسنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وسنة الخلفاء الراشدين المهديين.

لكن يا أيها الإخوة إذا كان واحد لا يعرف ما هي سنة النبي صلى الله عليه وسلم في الحياة فكيف سيمتثل بهذا الشيء؟

لذلك مرة جديدة أنتَ بحاجة إلى معلم وبحاجة إلى مجلس علم وأنتِ بحاجة إلى معلم وإلى مجلس علم تنتمين إليه حتى يتعرف المرء سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

سنة النبي بالصلاة محفوظة لكثيرة منا من ركعتين سنة قبلية وركعتين سنة بعدية.

وسنة النبي بالصيام محفوظة لعدد منا، لكن سنة النبي صلى الله عليه وسلم سنة ناظمة لأمور الحياة كلها، يعني ما هي طريقة النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل مع زوجاته؟ مطلوب منك أن تعرف حتى تعامل مع زوجاتك.

ما هي سنة النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل مع من خالفه بالرأي؟ مطلوب منك أن تتعرف عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم كيف كان يتعامل النبي صلى الله عليه وسلم فيمن خالفه بالرأي.

ما هي سنة النبي صلى الله عليه وسلم إذا غضب؟ مطلوب إليك أن تعرف.

إذا عرضت للنبي صلى الله عليه وسلم شهوة فما هي السنة؟ مطلوب إليك أن تتعرف ((**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**)).

وختم الحديث بقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ**)) **الأمر المحدث**: هو الأمر المخترع على غير نظير سابق.

والمراد بمحدثات الأمور: أي محدثات الأمور في الدين وليس في أمور الدنيا.

فأمور الدنيا مبنية على التجدد والتحديث المستمر أما أمور الدين المطلوب فيها الانضباط بما قاله الله وقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن من اخترع في الدين أمراً مخالفاً لقواعد هذا الدين فهو بدعة والنبي صلى الله عليه وسلم يقول ((فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ)).

البدعة في اللغة: هي إحداث أمر لا نظير له سابقاً.

والبدعة في الاصطلاح: هي إحداث قول، أو فعل، أو اعتقاد، لم يَرِدْ في القرآن، ولا في السنة، ولا في الإجماع، ولا في القياس، ولم توافق عليه قواعد الدين العامة، أو إحداث ما يعارض ذلك، ويخالفه.

يعني مثلاً حد الزنا في الإسلام الجلد وإن كان متزوجاً فالرجم، فإذا اخترعت عقوبة مالية في الزنا بدلاً من أن يعاقب بعقوبة الجلد أو الرجم، مثلاً قلنا إذا زنا عليه عقوبة مالية خمسة آلاف ليرة، وحبس لمدة شهرين فهذه بدعة وهذه ضلالة. لماذا؟ لأنها إحداث ما يخالف تعاليم الدين، واختراع شيء يخالف تعاليم الدين، لأن الله عز وجل أمر برجم الزاني والنبي صلى الله عليه وسلم أمر برجمه، إذا كان متزوجاً.

يقولون: عقوبة الرجم والجلد تخيف. طبعاً! ومن قال لك: أن العقوبة لا يراد منها الإخافة؟

أنا قرأت في إحدى البلاد العربية بأن عقوبة الزاني تساوي خمس وعشرين ليرة سورية أي الأربعة بمائة، إذا كان عليك عقوبة خمس وعشرين ليرة وحبس من شهر لثلاثة، فكأنه يقول لك اذهب وازني.

من قال أن العقوبة للتسلية أو لإعطاء المجرم والمخطئ راحة؟ العقوبة للردع فإذا لم تكن العقوبة رادعة فلا قيمة لها.

وقَسَا ليَزْدَجِرُوا ومن يك حازماً فليَقْسُ أحياناً على من يرحم.

إذا أردت أن ترحم ابنك فعليك أن تقس عليه أحياناً رحمة به وإذا تركت ابنك يفعل ما يشاء فأنت أكبر المؤذين لهذا الابن.

فالبدعة إحداث أمر لم يَرِدْ لا في الكتب، ولا في السنة، ولا في الإجماع، ولا في القياس، ولا يتسق مع أوامر الدين العامة أو إحداث ما يخالف ذلك ويعارضه.

مثلاً إذا جاء رجل ليخترع لنا صلاة يقول: أنت تصلي في كل يوم جمعة أربع ركعات تقرأ في الركعة الأولى كذا، وفي الثانية كذا، وفي الثالثة كذا، وفي الرابعة كذا، وتصليها لمدة عشر أسابيع، تبدأ فيها من أول شهر محرم، وتنتهي منها بشهر ربيع، فإذا فعلت هذا أعطاك الله كذا

ومنعك الله كذا، فهل عندك دليل بهذه الصلاة؟ لا. إذا لم يكن عندك دليل فهذه بدعة، ((فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ)).

لكن بالمقابل إذا اخترع شيء يوافق القرآن، والسنة، والإجماع، والقياس،أو يوافق قواعد الدين العامة، فهذه ليست بدعة ضلالة.

فمثلاً: سيدنا أبو بكر قرر جمع القرآن في مصحف، فالقرآن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن موجود في كتاب من هذه الكتب فكان محفوظ في صدور الناس وكل واحد يكتب لنفسه على الرقع، فسيدنا أبو بكر أمر بجمع القرآن في مصحف، وسيدنا عثمان نسخه، فهذا إحداث شيء في الدين لكن هذا يتوافق مع القرآن، والسنة، والإجماع، والقياس، لذلك هذه ليست من البدع الضلالة.

حسناً التوسع بالمأكل والمشرب فكان هناك أشكال وألوان في المآكل والمشارب فهذه ليس من البدعة الذي هو ضلالة، ولكن هو من المباحات.

جَمْعُ الناس على صلاة قيام رمضان في المسجد. ففي زمن النبي صلى الله عليه وسلم كان قيام رمضان يصلي الناس متفرقين فلما كان زمن سيدنا عمر جمعهم في مسجد واحد على إمام واحد فهذه بدعة لكن بدعة موافقة للسنة فليست التي هي الضلالة.

فمن جهة لا يجوز إحداث شيء جديد لم يرد في القرآن، والسنة، والإجماع، والقياس، أو إحداث ما يخالفه.

ومن جهة ليس كلما رأى إنسان شيئاً لا يعلمه يقول بدعة وكل بدعة ضلالة.

مرة ثالثة أنت بحاجة لعالم لتسأله: هل هذا الشيء فيه خير ونفع بدعة ضلالة أو أنه من السنة الحسنة.

ختم النبي صلى الله عليه وسلم الحديث بقوله، ((وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورَ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ)).

نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.